

## تفسير البحر المحيط

@ 15 تعالي : { السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ } . وقال الشاعر : .

ولا أرض أبقل ابقالها .

.) % .

{ مِّنْ أَهْلِ تَدْيِ } الآية قالت فرقة : نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود ، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة . وقيل : نزلت في الوليد هذا قال : يا أهل مكة اكفروا بمحمد وإثمكم عليّ ، وتقدم تفسير { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } في آخر الأنعام { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا \* غِيَا } انتفاء التعذيب ببعثة الرسول عليه السلام ، والمعنى حتى يبعث رسولاً فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله ، وانتفاء التعذيب أعم من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب أو في الآخرة بالنار فهو يشملهما ، ويدل على الشمول قوله في الهلاك في الدنيا بعد هذه الآية { وَإِذَا أَرَادْنَا نُنَادِيَهُمْ فَوَاقٍ } وفي الآخرة { فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا } وآي كثيرة نص فيها على الهلاك في الدنيا بأنواع من العذاب حين كذبت الرسل . وقوله في عذاب الآخرة كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها : ألم يأتكم نذير ؟ وقالوا : بلى قد جاءنا نذير ، وكلما تدل على عموم أزمان الإلقاء فتعم الملقين . وقوله : { وَإِنَّ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا \* مِّنْ نَّذِيرٍ } وذهب الجمهور إلى أن هذا في حكم الدنيا ، أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار .

قال الزمخشري : فإن قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه ، واستجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم ركونهم لذلك الإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان . قلت : بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ( من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين ، فلو لا بعثت إلينا رسولاً ينبهنا على النظر في أدلة العقل انتهى . وقال مقاتل : المعنى وما كنا مستأصلين في الدنيا لما اقتضته الحكمة الإلهية حتى يبعث رسولاً إقامة للحجة عليهم وقطعاً للعدر عنهم ، كما فعلنا بعاد وثمود والمؤتفكات وغيرها .

{ وَإِذَا أَرَادْنَا نُنَادِيَهُمْ فَوَاقٍ } وَأَمْرٌ نَأْمُرُ فِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا \* وَكَمْ أَهْلَكْنَا

مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا  
 بَصِيرًا \* مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا \* تَشَاءُ \*  
 لِمَن نَّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُومًا مَّدْحُورًا \*  
 وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ  
 سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا \* كَلَّا \* نُمِدُّهُم بِزُفُرٍ مِّمَّا يَمْشُونَ بِهَا وَلَٰكِن يَرَوْنَ  
 أَنَّ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا \* انظُرْ كَيْفَ فَصَّلْنَا بَعْضَهُمُ عَلَىٰ بَعْضٍ  
 وَلَٰلِآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا \* لََّا تَجْعَلَ مَعَ اللَّهِ  
 إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا . .

لما ذكر تعالى أنه لا يعذب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً بين بعد ذلك علة إهلاكهم وهي  
 مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ( والتمادي على الفساد . وقال الزمخشري :  
 { وَإِذَا أَرَادْنَا } وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلاّ قليل انتهى . فتؤول {  
 أَرَادْنَا } على معنى دنا وقت إهلاكهم وذلك على مذهب الاعتزال . وقرأ الجمهور أمرنا ،  
 وفي هذه القراءة قولان : .

أحدهما : وهو الظاهر أنه من الأمر الذي هو ضد النهي ، واختلف في متعلقة فذهب الأكثرون  
 منهم ابن عباس وابن جبير إلى أن التقدير أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا . وذهب الزمخشري  
 إلى أن التقدير أمرناهم بالفسق ففسقوا ورد على من قال أمرناهم بالطاعة فقال : أي  
 أمرناهم بالفسق ففعلوا ، والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا  
 يكون ، فبقي أن يكون مجازاً ، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً فجعلوها ذريعة إلى  
 المعاصي